كلمة التحرير

جاء في افتتاحية العدد الأول من مجلة **التجديد** الذي صدر قبل ثماني سنوات ما يلي: "إن هذه المجلة ـــ وهي تصدر عن الجامعة الإسلامية العالمية ـــ إنما يراد لها أن تعبر عن هذه الخطة وهذا المنهج (خطة التكامل المعرفي ومنهج التجديد الفكري اللذين قامت عليهما الجامعة)، وأن تكون منبراً لكل مثقف ذي فكر حر مبدع مجدد، وأن تدعو كل الأساتذة والعلماء والمثقفين المستنيرين الأحرار من رجال المعرفة والتجديد، أينما كانوا، للمشاركة بأبحاثهم فيها، إحياءً لروح التجديد والاجتهاد والإبداع، وأداءً لحق الاستخلاف..."[1] وفي نسق متناغم مع هذا النداء أكد مدير التحرير السابق للمجلة ـــ الدكتور محمد بن نصر ـــ أن المشكلة التي تواجه مسألة التجديد "ليست في تحصيل كم من المعلومات وجملة من المعارف والخبرات المهنية، وإنما المشكلة في إصلاح مناهج التفكير نفسها، لأن المعلومات والمعارف متغيرة بتغير الخبرات الإنسانية."

---

1 كتب افتتاحية العدد المذكور الدكتور عبد الحميد أبو سليمان المدير السابق للجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

وفي إثر ذلك نقول: إن التجديد أو التجدد لازمة من لوازم الحياة ومظهر من مظاهر الكون الذي نعيش فيه. فقد جعل الله تعالى من سنن أقداره الكونية في النبات والحيوان والإنسان دورة الميلاد فالنماء والنضح فالضعف والذبول فالأفول والموت، ثم الولادة وهكذا، أطواراً تتعاقب فتتجدد من خلالها أنواع الكائنات ويتصل وجودها إلى أمد قد قدره البارئ لها. وهي دورة تناظر دورة الليل والنهار إذ يكور الله تعالى الليل على النهار ويكور النهار على الليل، كما تناظر دورة توالي فصول السنة، دورات يتجدد بها ماء الحياة ومظهرها معاً حيناً بعد حين. ومثلما يسري التجديد أو التجدد في مظاهر الكون وأشياء الطبيعة، فإنه يسري كذلك في الحياة الاجتماعية للإنسان وفي ثقافته وقيمه وفي نظم حياته الفكرية والاجتماعية والسياسية، وفيما يتوسل به من أسباب لنيل أغراضه ومن مناهج لتحقيق غاياته، وفي حضارته وتاريخه.

ولكن الفرق بين جريان التجديد أو التجدد في الكون والطبيعة وجريانه في الاجتماع الإنساني وفي التارخ والحضارة لا ينبغي أن يغيب عن أذهاننا، فإذا كان الأمر في المجال الأول يحصل حتماً دون تدخل من الإنسان، وفاقاً لسنن لا تتبدل ولا تتغير، فإنه في الثاني يحصل بعيداً عن مثل هذه الحتمية الصارمة الصلبة. ذلك أن الله تعالى قد أودع في الإنسان الذي نفخ فيه من روحه قدرةً على الاختيار والفعل تؤهله لأن يوجه مسارات حياته وفق ما يريد في تفاعل إيجابي مع سنن الكون والطبيعة الثابتة، تحقيقاً لأمانة الخلافة، وقياماً على قاعدة التسخير التي بمقتضاها يسر الله تعالى له الانتفاع بما فيهما من خيرات، وارتفاق ما فيهما من قوى وظواهر.

ذلك هو الإطار العام والمنظور الكلي لمفهوم التجديد والتجدد في أبعاده في الطبيعة الكونية وفي الاجتماع الإنساني. ولعله في مثل هذا السياق من معنى التجديد يمكننا أن نفهم المغزى الحقيقي للحديث الذي رواه أبو داود وأحمد بن حنبل والبيهقي والحاكم من أن رسول الله علية الصلاة والسلام قال: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها." ودون الدخول في مناقشة ما إذا كان اسم الموصول (مَنْ) في الحديث ينصرف إلى المفرد أم الجمع، وبعيداً عن الجدل حول كيفية تحديد رأس المائة سنة المذكورة في الحديث، نحيل القارئ الكريم إلى ما كتبه في هذا كل من العلامة محمد الطاهر ابن عاشور (في كتابه **تحقيقات وأنظار في القرآن والسنة**) والشيخ يوسف القرضاوي (في كتابه **نحو صحوة راشدة تجدد الدنيا بالدين**) ببيان واف شاف. ولكن يلزمنا هنا أن نؤكد ما أبرزه هذان العالمان من معنى شمولي لمفهوم التجديد بما هو عملية متعددة الأبعاد متكاملة العناصر، وإن كان للتجديد الفكري فيها موقع الريادة والتوجيه وتحديد المسار وتعيين الوجهة. علماً بأن هذه المكانة التي يحتلها التجديد في بعده الفكري وسياقه المعرفي لا تؤتي ثمارها المرجوة وتبلغ غاياتها المرسومة إلا في إطار حركة متساوقة يتجاوب ويتناغم فيها الفكر مع الأبعاد الأخرى للحياة والمجتمع.

على أن التجديد الفكري والمعرفي بالمعنى السابق ليس أمراً يسيراً أو عملية بسيطة، ولا يحصل بمجرد تمنّيه أو رفع شعاره، فدونه من الصبر والمعاناة وبذل الجهد وإجالة النظر وإدامة التفكر والبحث ما لا يسمح لنا المجال هنا ببيانه أو حتى وصفه. ولعل مما يزيد الأمر صعوبة وتعقيداً في مسألة التجديد في الإطار

الإسلامي كونه لا يأتي في فراغ تاريخي أو فكري، وإنما يجيء في سياق علاقة متواشجة ومتينة بتراث توالت على بنائه وإنمائه أجيال من علماء الأمة حتى غدا بناءً شامخاً قد ينتاب المرءَ أمامه شعورٌ بالقصور وعدم القدرة على الإضافة إليه فيلوذ بقاعدة "ما ترك الأول للآخر". ولكن المشكلة الحقيقية ليست في كون العلماء والمفكرين السابقين قد جاؤوا بالقول الفصل أو قالوا الكلمة الأخيرة في كل شيء، فلا هم ادعوا ذلك ولا هو مما يقع في طوق بشر! وإنما المشكلة أعلق بمواقف الإلف والتقليد التي تُضعف في الإنسان روحَ التوتر والتطلع وتصرفه عن كدِّ الذهن وإنعام النظر، فيعيش في حالة موهومة من الراحة النفسية والاطمئنان العقلي، فلا يسعى إلى ارتياد آفاق جديدة في البحث، ولا تنطرح أمامه المشكلات بوجهها الطريف، ولا يرى داعياً لاجتراح أفكار ومناهج جديدة في طرح القضايا وعلاجها. وإن هذا الأمر لمهمة صعبة ولكنه ضروري إن كان للمسلمين أن يعيشوا وفق ما يدعوهم إليه دينهم ويكيِّفوا أوضاع حياتهم ومجريات واقعهم حسب ما تمليه قيمه وتقتضيه تعاليمه.

وإذا كانت مجلة **التجديد** والمؤسسة التي تصدرها قد قامتا للعمل من أجل هذه الغاية، فإن الطريق طويل والغاية كبيرة. ولكن يسع المرء أن يؤكد بغير قليل من الثقة أن الجامعة الإسلامية العالمية، على حداثة نشأتها (1983) قياساً إلى كثير من الجامعات الإسلامية وغير الإسلامية ذات التاريخ الطويل، قد أثبتت جدارتها العلمية فيما قطعته من شوط في مسيرتها، سواء من حيث النوعية والشمول في البرامج الدراسية التي تقدمها، أو من حيث القيمة العلمية والفكرية لرسائل الماجستير والدكتوراه التي أجيزت فيها، أو من حيث المناخ الثقافي والفكري العام الذي يظللها. أما المجلة فإن الأعوام الثمانية التي انقضت منذ إنشائها عام

1997/1417 وهي تصدر بانتظام، قد أكدت أنه إذا توافرت الإرادة المصممة والإدارة المنمية والمثابرة الدؤوبة والنية الصادقة، فإنه يمكن إنجاز المشروعات الطموحة وبلوغ الأهداف الكبيرة، فتثمر الجهود وتؤتي أكلها ولو بعد حين، مهما يقم في الطريق من عقبات أو يعتر العاملين من منغصات.

على أن هذا الذي قررناه بحق الجامعة الإسلامية العالمية عموماً وبحق مجلة **التجديد** خصوصاً لا ينبغي أن يُفهم منه بأي حال الادعاءُ ببلوغ المسيرة غايتها أو الدعوةُ إلى الركون إلى ما تحقق والاطمئنان إلى ما أُنجز، فإن آفاق التكامل المعرفي والتجديد الفكري المنشودين ومتطلباتهما أكبر من أن تستنفدها الجهود التي بذلت وتبذل في إطار هذه الجامعة أو في غيرها من المؤسسات الإسلامية العلمية الرصينة. وإنما يقتضينا المقام هنا أن نقول كلمة نخص بها مجلة **التجديد** التي لا بد من الحرص على أن تكون اسماً على مسمى. إن هذه المجلة، بما هي نافذة للتواصل الفكري والعلمي بين المسلمين في ماليزيا وجنوب شرقي آسيا والعالم العربي خاصة، قد أصبحت لها قاعدة لا يستهان بها من القراء والكتاب في مواطن كثيرة من العالم الإسلامي وعلى وجه الخصوص في البلدان العربية، الأمر الذي يشهد لذلك الروح الذي يسري في الأمة فيجعل أبناءها يتنادون ويتجاوبون حملاً للطموحات ذاتها وسعياً إلى الغايات نفسها. وإذا كان الأمر كذلك، فإنه لا يفوتنا أن نؤكد أن نجاح المجلة في أداء مهمتها على أحسن وجه مسؤولية أطراف أربعة رئيسة: قارئ حريص ناقد، وكاتب مفكر مجتهد وباحث مثابر، ومحكّم ناصح أمين، وإدارة مسؤولة منضبطة. فإذا أدى كل طرف من هؤلاء ما عليه حق الأداء، فإن مستوى ما تنشره المجلة من بحوث ومقالات لا

محالة سيتحسن ويترقى، وإلا فلن يكون للحديث عن التجديد من معنى غير ترديد كلام ورفع شعار.

وقبل أن ندع القارئ ليدلف إلى مادة هذا العدد الذي تدخل به المجلة سنتها التاسعة، لا بد من كلمة شكر وتقدير نجزيها خالصة لمدير التحرير السابق الدكتور محمد بن نصر ورفاقه أعضاء هيئة التحرير السابقين، فقد عملوا واجتهدوا ونحتوا للمجلة اسماً وبنوا لها سمعة، ولا بد كذلك من كلمة امتنان خاصة نسجلها لإدارة الجامعة ممثلة في شخص مديرها الأستاذ الدكتور محمد كمال حسن لدعمه وتشجيعه ولثقته بتعيين إدارة تحرير جديدة خلفاً للإدارة السابقة، فعسى أن نكون خير خلف لخير سلف، فنبني على ما أسسوا ونضيف إلى ما أنجزوا.

والله نسأل أن يسدد الخطى ويجنبنا مزالق الردى في القول والعمل.